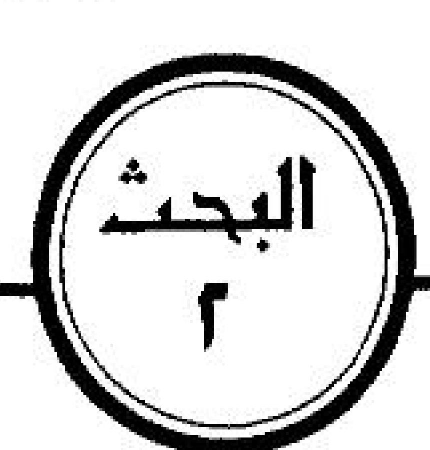
مجلة بحوث كلية الآداب
جامعة المنوفية



السياسة الخارجية لهيرودس الكبير
(٣٨-٤ق.م)

إعداد

د / السيد محمد السيد عبد الله
كلية التربية - بورسعيد - جامعة قناة السويس

محكمة تصدرها كلية آداب المنوفية

العدد الثامن والاربعون
يناير ٢٠٠٢

السياسة الخارجية لهيرودس الكبير

(٣٨-٤ق .م)

يمثل عصر هيرودس المعروف بالكبير مرحلة فاصلة فى تـــاريخ التواجد السياسى لليهود بأورشليم عبر النصف الأخير من القرن الأول قبل الميلاد، وذلك لما شهدته تلك الفترة من أحداث سياسية هامة، كان أبرزهـــا إنتقال السلطة من أيدى المكابيين إلى البيت الأدومى الـــذى ينتمـــى إليـــه هيرودس، وذلك فى ظل السيادة الرومانية المهيمنة على تلك المنطقة منـــذ أن وطئها بومبى عام ٦٣ ق.م، فضلاً عن هذا فقد أرتبط ذلك الإدومى مـــع مختلف القوى الدولية آنذاك فى علاقات سياسية متميزة، حرص من خلالها بماليديه من دهاء بالغ على تحقيق هدفين أساسيين، هما:

- إستثمار علاقاته الدولية فى تدعيم حكمه وحكم أبنائه من بعده.
- محاولة إستغلال الظروف الدولية فى توسيع نطاق دولته.

ومن أجل تحقيق هذين الهدفين كان يتحتم علـــى هـــيرودس بـــذل الجهود المضنية؛ لاسيما وأن المنطقة السورية والفلسطينية بصفـــة عامـــة كانت مشحونة منذ النصف الأخير من القرن الأول قبل الميلاد بـــالتوترات السياسية الهائلة، الناجمة عن الصراعات الدولية التى أشعل أوارها قـــوى عديدة؛ كالبراثيين والرومان والأنباط والبطالمـــة الممثليـــن فـــى ملكتـــهم كليوباترة السابعة، هذا وفى الوقت ذاته فـــهناك مـــن المشـــاكل الداخليـــة الخطيرة التى واجهت هيرودس، وكان لها أثرها الفعال فى تحديـــد معـــالم سياسته الخارجية، ويأتى بمقدمتها أطماع المكابيين فى محاولـــة إســـتعادة العرش مرة أخرى وسعيهم الدؤوب للإستعانة فى ذلـــك بقـــوى أجنبيـــة، وبالطبع فكل هذا من شأنه أن ساهم بدور كبير فـــى صياغـــة هـــيرودس

لسياسته الخارجية ولطبيعة وشكل علاقاته وإتصالاته بالعـالم الخـارجى، ويتضح ذلك فى الآتى :

أولاً : سياسة هيرودس الخارجية تجاه الرومان :

إرتبط هيرودس بعلاقات سياسية وثيقة ومتميزة بالرومان، وهـى علاقات ذات أصول قديمة تمتد جذورهـا لفـترات تسـبق بكثـير عـهد هيرودس، وتحديداً إلى عام ١٦١ ق.م؛ وذلك حينما نجح اليهود المكـابيون خلال ثورتهم ضد السليوقيين من كسب تأييد روما التى إعترفت بهم أنـذاك كدولة مستقلة عن الحكم السليوقى[١]، ولكن مع أواخر العصـر المكـابى أخذت تسير تلك العلاقات فى إتجاه مغاير، وذلك بعد أن تمكـن الرومـان بزعامة بومبى من الاستيلاء عام ٦٣ ق.م على أورشليم، لتصبـح تلـك المدينة الخالدة وما يتبعها من مقاطعات مكابية مجرد مسـتعمرة رومانيـة تتمتع بقدر من الاستقلال المحدود، المتمثل فى إسناد الحكم هناك إلى أيـدى ولاة محليين تابعين لروما، ويُعد هيرودس من أشهر هؤلاء الولاة، وذلـك لمدى أهمية وقيمة الدور الكبير الذى لعبه فى تاريخ العلاقـات السياسـية اليهودية الرومانية؛ حيث إستطاع بدهاء فائق من كسب ودَ وتأييد الحكـام الرومان، وقد مكنه من هذا عدة عوامل مشتركة، أهمها :

١-الخطر البراثى على سورية وأثره فى حاجة روما إلى هيرودس :

يعتبر البراثيون من أهم التهديدات التى كانت تقلق الوجود الرومانى بالمنطقة السورية عامة، وقد برز ذلك مع إجتياح الجيوش البراثية لها علـم

(1) Johnson, P., A History of the Jews , New York, 1987, p. 105.

٤٠ ق.م[١]، مما كان له آنذاك أثره الفعال على جعل الرومان يفكرون جدياً فى ضرورة إيجاد قوى محلية يمكن أن تكون بمثابة وسيلة معاونة، يعتمد عليها للدفاع عن تلك المنطقة عند تكرار مثل هذا الغزو المحتمل حدوثه، فى ظل ذلك الصراع البراثى الرومانى المستمر، لاسيما وقد بدا للرومان واضحاً أثناء هذا الغزو أنه لا يمكن الاعتماد على الأنباط فى ذلك الأمر، لما أظهروه حينذاك من تأييد واضح للبراثيين[٢]، فضلاً عن هذا فربما كان لجوء الرومان إلى إقامة حكومة محلية موالية لهم بأروشليم قد أخذوه عن البراثيين أنفسهم، وذلك حينما قاموا فى أورشليم تنصيب إنتيجونوس الحسمونى ملكاً تابعاً لهم[٣]، فكان لهذا بلا شك أثره الفعال فى جعل السيناتو يسارع أثناء ذلك الاحتلال البراثى إلى تنصيب هيرودس بروما عام ٣٨ ق.م ملكا مواليا لهم على أورشليم[٤].

٢- خدمة هيرودس للمصالح السياسية الرومانية بالجنوب السورى وشبه جزيرة العرب :

تعتبر منطقتى جنوب سورية وشبه الجزيرة العربية من المناطق الهامة سياسياً لروما؛ وقد وجد الرومان من هيرودس أداة تمكنهم هناك من تحقيق أهدافهم السياسية؛التى كانت تنحصر فى المنطقة الأولى على بسط

(1) Starcky, J., "The Nabataeans : A Historical Sketch", BA, vol. XVIII, N. 4, December 1955, P. 93.

(٢) جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الثالث، النهضة، بغداد، ١٩٨٠، ص ٣٦.

(3) Momigliano, A., "Herod of Judaea", CAH, vol. X,1934, p.319.

(4) Johnson, P., Op. Cit., p.110.

الآمن والإستقرار الرومانى، وإزالة دواعى التوتر والقلق المهددة لوجودهم السياسى بتلك المنطقة، والتى بالطبع يمكن وأن تؤثر بدورها علـــى بقيـــة ربوع سورية؛ وذلك لما كان يعانيه حينئذ الجنـــوب الســـورى فـــى ظـــل الإحتلال الرومانى من إضطرابات سياسية بالغة، يأتى فى مقدمتها إنتشـــار أعمال السلب والنهب التى يمارسها الكثير من سكان مقاطعاته كالطراخونية وغيرها، والذين كانوا يلقوا تشجيعا واسعا من مملكـــة الأنبـــاط المتاخمـــة للجنوب السورى، والتى كانت تمثل حينئذ أيضا عبئا سياسيا على الوجـــود الرومانى بتلك المنطقة، رغم أن حكام هذه المملكة كانوا يظهرون الـــولاء والطاعة للرومان، ولكن تطلعاتهم السياسية بالجنوب السورى كانت كثـــيراً ما تقلق روما، لاسيما وأنهم كانوا يسيطرون قبيل مجئ الرومان على مدينة دمشق(*) نفسها، ويتحينون للفرصة التى تمكنهم من إستعادتها لســـلطانهم، فكل هذا من شأنه أن جعل الرومان يرونّ فى تتويجهم لهيرودس ملكا قويـــا بأورشليم هو خير وسيلة لترسيخ إستقرارهم السياسى المـــأمول بـــالجنوب

(*) دخلت دمشق عام ٨٥ ق.م ضمن ممتلكات الأنباط، وذلك على أثر إنتصـــار الملك الحارث الثالث (٨٧ –٦٢ق.م)على السليوقيين فى معركة "كانـــا" عام ٨٦ ق.م ، وظلت تلك المدينة فى حوزة الأنباط حتى عام ٧٠ ق.م، حيـــث إنسحبوا حينئذ منها عندما تعرض الجنوب السورى لهجوم الجيوش الأرمينيـــة بقيادة تيغران (السيد محمد السعيد : علاقات الأنباط السياسية مـــع الكيـــان اليهودى بأورشليم منذ بداية عهد الحارث الثانى حتى نهايـــة عـــهد الحـــارث الثالث، مجلة بحوث كلية الآداب، العدد ٤١، جامعة المنوفية، إبريـــل ٢٠٠٠، ص ١٦،١٩) ويذكر "جواد على" بأن الأنباط قد تمكنوا بعد ذلك خلال عصر الحارث الرابع (٩ق م — ٤٠م) من إستعادة دمشق من أيدى الرومان، وظلت بحوزتهم خلال الفترة الممتدة تقريبا بين عامى (٣٧-٦٢م، حيـــث إستردها الرومان بعد ذلك مرة أخرى (جواد على : المرجع السابق، ص ٤٤-٤٥).

السورى؛ وذلك من خلال تكليفه بالتصدى لعمليات السلب والنهب المنتشرة هناك، والوقوف بقوة أيضا فى وجه التطلعات النبطية.

فضلا عما سبق فقد كان للرومان حاجة أيضا إلى معاونة هيرودس فى خدمة أطماعهم الاستعمارية داخل جزيرة العرب ذاتها؛ حيث كانوا يحلمون بصفة خاصة فى ضم بلاد اليمن إلى إمبراطوريتهم، لما كانت تمتلكه من ثروات هامة تجد قبولا متميزاً آنذاك بمختلف الأسواق العالمية، وبخاصة البخور المقترن إستخدامه هناك بالعديد من الطقوس الدينية، كالمراسيم الجنائزية وحرقه للإلهة[1]، هذا بالإضافة لسلع تجارية أخرى كانت تجلب إلى الموانى اليمنية من جنوب شرق آسيا، وعلى رأسها الحرير الذى وجد ترحيبا بالغاً عند علية القوم بالمجتمع الرومانى، لاسيما لدى النسوة ورجال القصر الإمبراطورى أنفسهم[2]، لتصبح بذلك بلاد اليمن من أغنى بقاع جزيرة العرب، وقد أشاد بثراء أهلها الفاحش العديد من الكتاب الكيلاسيكيين، ومنهم استرابو (بالقرن الأول ق.م) الذى يصف ذلك بقوله : "أصبح السبئيون والجرهائيون بفضل التجارة من أغنى الشعوب، فكانوا يملكون أدوات كثيرة من مقاعد وركائز وأوعية وكؤوس مصنوعة من الذهب والفضة،وقد إتسمت منازلهم كذلك بالفخامة؛ فكانت أبوابها وجدرانها وأسقفها من الداخل مزينة بالعاج والذهب والفضة والأحجار

---

(١) نورة عبد الله العلى النعيم : الوضع الاقتصادى فى الجزيرة العربية من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادى، دار الشواف، الرياض، ١٩٩٢، ص ٢٣٣ .

(٢) ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، ترجمة : احمد محمد رضا وعز الدين فودة، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥ ، ص ١٣.

الكريمة"[1]، ولذا فقد سعى الرومان جاهدين عبر الربع الأخير من القرن الأول ق . م للإستيلاء عسكريا عليها، وكما هو المتوقع أن سارع حينئذ هيرودس بأرسال قوة يهودية للمشاركة فى ذلك الأمر[2].

٣- حنكة هيرودوس السياسية التى اكتسبها من والده فى معاملة الرومان :

كان لحنكة هيرودس السياسية دور بالغ الأهمية فى إكتساب ود وتأييد زعماء روما بأهوائهم المتباينة؛ فقد نجح هذا الأدومى فى إقامة علاقات قوية ومتينة مع أنطونيو، وأصبح من أكثر المقربين لديه رغم بغض كليوباترة الشديد له، بل الأكثر من هذا فقد تمكن بعد موت أنطونيو من نيل الحظوة الكبرى فى نفس اكتافيوس عدو صديقه أنطونيو[3]، ومما لا شك فيه بأن ذلك يبرز بجلاء واضح مدى مقدرة هيرودس فى كيفية التعامل مع الزعماء الرومان، ويعتقد الباحث فى هذا المضمار بأن تلك المهارة المتميزة قد اكتسبها هيرودس من أنتيباتر والده، ذلك الداهية الذى كان يتمتع برؤية ثاقبة لحقيقة ما يدور من خلافات وصراعات سياسية مريرة بين الزعماء الرومان، والتى كان على ضوئها يحول بمهارة فائقة دفة ولائه للمنتصر منهم، مع محاولة الاستفادة مما قد يتطرق بالساحة من أحداث لتوظيفها فى إستمالة ذلك الزعيم الرومانى، وتاريخه السياسى يؤكد

(1) Strabo, The Geography of Strabo, translated by Jones, H.L.,vol.V11, BK. XVI, 4 th. ed., London, 1966 , p. 349.

(٢) إبراهيم يوسف أحمد الشتلة : "حملات الرومان على الجزيرة العربية"، الدارة، العدد الثالث، السنة التاسعة، الرياض، يناير ١٩٨٤، ص ١٠٥.

(3) Johnson, P., Op. Cit., p. 110.

ذلك؛ فبمجرد وأن سطع بروما نجم قيصر فى آثر إنتصاره على بومبى عام ٤٩ ق.م، سارع حينئذ أنتيباتر هذا بنقل ولائه من بومبى لقيصر[١]، وأخذ فى الوقت ذاته يترقب المناسبة التى تمكنه من كسب ثقته وتأييده، كما كان حاله من قبل مع بومبى، وبالرغم مما واجهه فى ذلك من متاعب[*] جمة، إلا أنه نجح وبدهاء بالغ فى إقتناص الفرصة التى جعلته من أشد المقربين إلى نفس قيصر؛ وذلك بأن إنتهز موقفه العسكرى الحرج والخطير بالإسكندرية أثناء وجوده بمصر[**]، فسارع بإعداد قوة عسكرية

---

(١) كارين أرمسترونج : القدس مدينة واحدة، ترجمة : فاطمة نصر ومحمد عنانى، دار الكتب،القاهرة، ١٩٨٨، ص ٢١٨.

(*) لعل من أخطر المتاعب والمشاكل التى واجهت انتيباتر لكسب ود قيصر إنه بمجرد قهره لبومبى أمر بإطلاق سراح أرسطوبولوس (ملك أورشليم السابق المعتقل فى روما بأمر من بومبى) وسارع بإرساله إلى أورشليم (سمير لطفى : عصر المكابيين، كنيسة القدس الإنبا انطونيوس بشبرا، ص ٣٣) ومما لا شك فيه بأن هدف قيصر من إعادة أرسطوبولوس إلى عرشه، هو الإطاحة هناك بكل بأنصار بومبى، وبالطبع كان أنتيباتر يدرك تماماً بأنه لو قدر لارسطوبولوس النجاح فى مهمته سوف يكون أول من يطاح برأسه، ولهذا فقد سارع وبدهاء بالغ بقتل أرسطوبولوس بمجرد وصوله لأورشليم، وذلك دون أن يورط نفسه فى هذا الأمر حتى لا يثير عليه غضب قيصر؛ حيث بعث إليه ببعض من وجوه أورشليم إحتالوا عليه وقتلوه مسموماً (محمد عزة دروزة : تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٦٩، ص٣٣٩).

(**) قدم قيصر إلى مصر فى مطاردة بومبى بعد هزيمته فىمعركة "فارسالوس"؛ حيث كان لبومبى علاقات ودية بمكلها الراحل بطليموس الثانى عشر، إلا أن بومبى قد أغتيل بمجرد وصوله للساحل المصرى، حتى لا تتهيأ ليوليوس قيصر فرصة لغزو مصر، بحجة أنها تأوى عدواً لروما، وعامة فبعد وصول قيصر لمصر واجه هناك عداء شديد من قبل السكندريين؛ وذلك على أثر علاقته مع كليوباتره التى جرحت مشاعرهم، والتى قد تحيز إليها ضد أخيها بطليموس الثالث عشر، مما أدى إلى تفجر الصراع بينه وبين السكندريين، والذى قد عرف "بحرب الإسكندرية"، التى إنتهت بهزيمة بطليموس الثالث عشر وأعوانه وتنصيب قيصر لكليوباترة ملكة على مصر:
حسين الشيخ : الرومان ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٣، ص ٩٢ – ٩٣ .

كبرى خرج بنفسه على رأسها، لتشارك ضمن القوات التى ذهبت إلى الإسكندرية لنجدة قيصر، وأستبسل أنتيباتر وقواته فى القتال حتى قيل آنذاك بأن إنتصار قيصر يومئذ كان بفضله، وبهذا قد تمكن ذلك اليهودى من التودد لقيصر الذى أنعم عليه بحق المواطنة الرومانية تقديراً له، وجعله نائبا له على أورشليم[١]، وأمر بإعفاء تلك المدينة من دفع الضرائب لروما، وبمنح أيضا أنتيباتر هذا هبة مالية لإعادة بناء أسوارها[٢]، فضلاً عما سبق فقد وافق كذلك على تعيين ولديه هيرودس حاكماً على الجليل، وفسائيل مسئولاً عسكرياً بأورشليم، [٣]، ومما لا شك فيه أن تلك المشاركة السياسية قد اكسبت هيرودس الكثير من خبرات والده الواسعة فى كيفية التعامل مع زعماء الرومان، مما كان له أثره الفعال على هيرودس فى نيل ثقتهم وتأييدهم.

وعامة فقد ساهمت تلك العوامل السابقة مشتركة فى جعل روما ترى فى هيرودس الشخصية المناسبة التى تنشدها من أجل مصالحها السياسية بتلك المنطقة، هذا وفى الوقت ذاته كان هيرودس هو الأخر فى إحتياج كبير إلى مساندة روما فى تدعيم حكمه بالداخل ومعاونته أيضا فى تحقيق طموحاته الخارجية، وعلى ضوء ذلك توثقت العلاقات السياسية بين الطرفين لفترة تصل إلى نحو أربعين عاماً تقريبا، سارت خلالها فى نمو وتزايد مطرد عبر مراحل تطورية ثلاثة، هى :

(١) هارفى بورتر : موسوعة مختصر التاريخ القديم، القاهرة، ١٩٩١، ص ٣٤٨.
(2) Momigliano, A, Op. Cit., p. 316.
(3) Bevan, E.R., “The Jews”, CAH, Vol. IX, 1932, p. 404.

المرحلة التمهيدية (٤٤-٣٩ق.م) :

استهلت تلك المرحلة من سياسة هيرودس الخارجية تجاه الرومـــان مع إستلامه لمهام والده انتيباتر الذى قتل[*]، بأورشليم عـــام ٤٤ ق.م [١]، ليصبح ذلك الادومى الصانع الأوحد لسياسة اليهود مع العـــالم الخـــارجى، وبخاصة مع روما صاحبة السيادة والسلطان على المنطقـــة الفلســـطينية، والتى كانت تعانى فى نفس ذلك العام من إضطرابات سياسية خطيرة، على أثر مقتل يوليوس قيصر بالخامس عشر من شهر أذار فى مؤامرة دبرهـــا بعض أعضاء مجلس الشيوخ بزعامة "ماركوس بروتـــــوس" و "جـــايوس كاشياس"، مما أدى إلى إشتعال روما بالحروب الأهلية التى شنها أنصـــــار قيصر، وعلى رأسهم "أوكتافيان" حفيد أخيه ومعه "مارك أنطونيـــو" ضـــد القتلة[٢].

وأخذ هيرودس بعين الحذر يراقب تلك الأحداث المتأججة بالســـاحة الرومانية، وكان على أهبة الأستعداد بأن يلقى بولائه تحت أقدام صــــاحب اليد العليا فى هذا الصراع، رغم أن الظروف قد فرضت عليه بأن يكـــون فى بداية الأمر من عملاء وأتباع كاشياس، لأنه طبقا لما يذكره يوســـفيوس قد مكنه من الثأر من قاتل والده[٣] إلا أنه بمجرد إنتهاء معركة "فيلبى" عـــلم ٤٢ ق.م والتى أسفرت عن هزيمة ومقتل كاشياس وبروتـــوس[٤]، ســـارع

(*) قتل انتيباتر على أيدى يهوديا من علية القوم يدعى "مالك"، إحتال عليــه ودس له السم : Johnson, p., Op. Cit., p. 110.

(١)كارين امسترونج : المرجع السابق، ص ٢١٨.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣)تاريخ يوسفيوس اليهودى، بيروت، ١٨٧٢، ص ١٤٢.

(٤)هارفى بورتر : المرجع السابق، ص ٣٤٩.

هيرودس حينئذ بإعلان ولائه للمنتصرين، وبعث إليهما كما يذكر يوسفيوس رسلاً بهدايا عديدة كان من بينها تاج ذهبى مرصع بالجواهر النفيسة[1]، وقد لاقى موقف هيرودس هذا قبولا لدى زعماء روما الجدد وبخاصة انطونيو، الذى استمر فى تأييد ومؤازرة هيرودس ضد خصومه طوال تلك الفترة، ويتضح ذلك من خلال ما ذكره يوسفيوس فى قوله :" مضى جماعة من رؤساء يهود أورشليم وأكابرهم إلى أنطونيو، وتظلموا إليه من هيرودس وأخيه فسائيل، فسأل أنطونيو هيركانوس (الملك الحسمونى)، وكان حاضراً عنده عما قالوا فكذبهم هيركانوس وأثنى على هيرودس وأخيه بالجميل لخوفه منهما وخشيته لهيبتهما، فسر أنطونيو ذلك ووافقه، لأنه كان محبا لهيرودس وأخيه وأبيهما، فأمر بالقبض على القوم الذين تظلموا فيهما وقتل جماعة منهم، وذاد من إكرامه لهيرودس وأخيه، ثم حدث بعد ذلك أيضا وأن تظلم إليه قوم آخرون من هيرودس فى وقت آخر وهو فى صور، فلم يقبل منهم قولا، وقتل بعضهم وحبس الباقين"[2].

وقد استمرت تلك العلاقات قائمة فى تزايد مطرد خلال هذه المرحلة حتى عام ٣٩ ق.م، لتدخل بعد ذلك تلك العلاقات إلى منعطف جديد، بدأ مع فرار هيرودس إلى روما مستنجداً بها، على أثر تعرض أورشليم حينذاك للأحتلال البراثى.

(١) تاريخ يوسفيوس اليهودى، ص ١٤٣-١٤٤.
(٢) المرجع السابق ، ص ١٤٥.

مرحلة الازدهار (٣٩ –٣١ق.م) :

ازدهرت العلاقات السياسية التى جمعت هيرودس بالرومان خـــلال تلك الفترة، لاسيما وقد توجوه آنذاك ملكا تابعاً لهم بأورشليم، وقد حـــرص هذا اليهودى بكافة السبل على إسترضاء حكام روما، وبخاصة انطونيـــو الذى آلت إليه حينئذ الولايات الرومانية الشـــرقية، ومـــن بينـــها ســـورية وفلسطين، وذلك على أثر تقسيم أملاك روما الخارجية بينه وبين اكتافيوس الذى أُسندت إليه المقاطعات الغربية [١]، وقد نجح هيرودس بدهائه الكبـــير فى نيل تأييد ومساندة انطونيو طوال تلك الفترة التى انتهت بمعركة أكتيـوم عام ٣١ ق.م.

وقد أُستهلت تلك المرحلة على أثر قدوم هيرودس فاراً من البراثيين إلى روما عام ٣٩ ق.م، وسط ترحاب بالغ من زعمائها وعلـــى رأســـهم أنطونيو، الذى اقترح آنذاك على السناتو (وذلك طبقا لما ذكره يوســـفيوس) تعيين هيرودس بأورشليم ملكاً تابعاً لروما[٢]، وبدأ يســـتعد للتوجـــه نحـــو فلسطين لمباشرة مهام مُلكه، وذلك بعد أن أرسل أنطونيـــو جيشـــاً بقيـــادة "فنتيديوس" عام ٣٨ ق. م تمكن من طرد البراثيين من كافة أنحاء ســـورية وفلسطين[٣]، وفى تلك الإثناء كان هيرودس يواصل زحفه بمن إنضم إليـــه من أتباع نحو أورشليم، التى تحصن بها إنتيجونوس الحسمونى، وأصـــدر آنذاك أنطونيو أوامره للقائد الرومانى المدعو "سوسيبوس" بسرعة معاونـــة

---

(١) محمد بيومى مهران : بنو إسرائيل، الجزء الثـــانى، دار المعرفـــة الجامعيـــة، الإسكندرية، ١٩٩٩، ص ١٠٠٩.

(٢) عبد الحميد زايد : القدس الخالدة، الهيئـــة المصريـــة للكتـــاب، ١٩٧٤، ص ١٢٠.

(٣) هارفى بورتر : المرجع السابق ، ص ٤٨٥.

هيرودس للسيطرة على تلك المدينة[١]، وبالفعل تمكن هيرودس من اقتحامها بعد حصار دام نحو الخمسة أشهر[٢]، اضطر أمامه إنتيجونوس إلى الإستسلام لسوسيبوس فى إذلال وإستكانة، وأُرسل فى أغلاله إلى أنطونيو الموجود حينئذ بأنطاكية، وقد أراد أن يبقيه حياً، ولكنه تراجع عن رأيه هذا وأمر بقتله تلبية لمطلب هيرودس[٣]، لتصبح بذلك المرة الأولى التى يطبق فيها الرومان عقوبة الإعدام على ملك أخضعوه[٤].

وهكذا يتضح مدى إستحواز هيرودس خلال تلك الفترة على ثقة وتأييد أنطونيو السياسى، ومن جانبه قد سعى جاهداً على تدعيم تلك المكانة لدى ولى نعمته ولذا فليس بالغريب أن يطلق اسم أنطونيو على العديد من المنشآت التى شيدها بأورشليم، ولعل من أشهرها تلك القلعة المعروفة بأسم "أنطونيا"[٥]، التى أقامها بالزاوية الشمالية الغربية لأسوار أورشليم، بمحل حصن قديم يعرف "بالبيرة"، بُنى بعد عودة اليهود من السبى[٦].

ولكن شاءت الأقدار بأن تنتهى تلك المرحلة من العلاقات السياسية المزدهرة بين روما أورشليم، بأنتحار أنطونيو بعد هزيمته المروعة أمام إكتافيوس فى معركة أكتيوم البحرية عام ٣١ ق.م[٧]، ليسارع هيرودس

---

(١) سمير لطفى : المرجع السابق ، ص ٣٤.
(٢) عبد الحميد زايد : المرجع السابق، ص ١٢٠.
(٣) سمير لطفى : المرجع السابق ، ص ٣٤.
(٤) كارين أرمسترونج : المرجع السابق، ص ٢١٩.
(5) Margolis, M and Marx, A., A History of The Jewish people, 3 rd. ed., Philadelphia, 1934, p. 170.
(٦) صابر طعيمة : التاريخ اليهودى العام، الجزء الأول، دار الجبل، بيروت، ١٩٧٥، ص ١٥١.
(٧) حسين الشيخ : المرجع السابق، ص ٦٩.

على أثر هذا فى السعى للتقرب من ذلك المنتصر الذى إلتقى به فى جزيرة رودس(*)،وهناك تمكن بدهائه المعهود من إحراز نجاح باهر، كـــان مـــن شأنه أن رسخ سياسيا من مكانته لدى روما خلال عهدها الجديد.

مرحلة الذروة : (٣١ – ٤ ق.م) :

توثقت العلاقات السياسية اليهودية الرومانية بشكل يفوق بكثير مـــا كانت من قبل عليه خلال هذه المرحلة، وذلك بفضل الأساليب التى أتبعـــها هيرودس لكسب ثقة أغسطس وتأييده السياسى، بغض النظر عـــن مـــدى تعارض تلك الأساليب مع يهوديته، فعلى سببيل المثال حينما أعلن أغسطس بأنه مقدس كان هيرودس من أوائل الذين بنوا معبدا لتقديسه بالســـامرة[1]، هذا بجانب أعماله الأخرى العديدة التى من ورائها نجح فى إستماله ذلـــك

(*) صور يوسفيوس مدى مكر ودهاء هيرودس خلال مقابلته لأغسطس بجزيـــرة رودس، ولنجاحه الكبير فى نيل عفوه وإعجابه، وذلك فيما نصه :"لما وصـــل هيرودس إلى أغسطس أمر بأزالة التاج عن رأسه وإحضاره، فلما حضر سلم على أغسطس وهنأه بالظفر ثم قال : أيها الملك إن كنت ســـخطت علـــى وأمرت بأزالة التاج عن رأسى من أجل إنى كنت محبا لأنطونيو الذى كـــان صاحبك، ولأنى أردت معاونته عليك، فحقا أقول أنى كنت أحبه لأنه أحسن إلى وجعل التاج على رأسى الذى أزلته أنت عنه، ولو كـــان حيـــا دمـــت علـــى محبته و لم انتقل عنها، فإن كان ذنبى عندك أيها الملك إنما هو حســـن وفائى وحسن محافظتى لمن أحسن إلى، ومعونتى لمن إستعان بى، فإنى لا أنكـــر ذلك ولا أعتذر عنه ... أيها الملك أن كنت قد أزلت التاج عن رأسى فمـــا أزلت عنى عقلى وإختيارى، فإن أبقيتنى فأنى مهما دمت حيا أحب من يحبـــنى وأكرم من أحسن إلى وأحافظ عليه، فأعجب أغسطس بكلام هيرودس، وقال أن كنا غلبنا انطونيو برجالنا فنحن نغلبك بالإحسان إليـــك، ونســـتميلك بالإنعام عليك، لأنك تستحق ذلك بما ظهر من وفائك" :

تاريخ يوسفيوس اليهودى، ص ١٧١ – ١٧٢.

(١) كارين ارمسترونج : المرجع السابق ، ص ٢٢١.

العاهل الرومانى، لعل من أبرزها فى هذا الصدد مسارعته بالمساهمة بقوات عسكرية فى الحملة التى أعدها أغسطس للاستيلاء على بلاد اليمن(١)، كذلك أيضا أخذ ذلك اليهودى يكرر ما فعله من قبل مع انطونيو، من إطلاقه لاسم أغسطس على الكثير من مدنه ومنشآته المختلفة، ومن الأمثلة الدالة على ذلك مدينة "قيصرية "التى أطلق عليها تلك التسمية نسبة لأغسطس قيصر(٢)، كذلك أطلق لقب "القصيرى" على القصر الكبير الذى شيده بأورشليم(٣)، وغير أيضا فى هذا المضمار اسم مدينة السامرة بعد أن قام بترميمها وتجديدها عام ٢٧ ق.م إلى "سبسطيه"(٤)، وهى كلمة يونانية تعنى أغسطس(٥)، فضلا عما سبق فقد أقام هيرودس على شرف هذا الإمبراطور الرومانى دورة للألعاب الرياضية بأورشليم(٦)، كانت تعقد مرة واحدة كل خمس أعوام(٧).

وبهذا توطدت أواصر الصداقة بين روما وأورشليم، وأصبح هيرودس من أكثر المقربين لدى أغسطس، لدرجة أنه سمح لولديه "إسكندر" و "أرسطوبولس" أن يتعلما بروما ويقيما فى قصره الأمبراطورى(٨)، والأكثر من هذا فقد حقق هيرودس بفضل تلك العلاقة ما كان يحلم به من

---

(1)Kiernan, R.H., The Unveiling of Arabia, London, 1937, p. 25.

(٢) عمر الصالح البرغوثى وخليل طوطح : تاريخ فلسطين، القدس، ١٩٢٣، ص ٥٩.

(٣) كارين أرمسترونج: المرجع السابق، ص ٢٢٢.

(4) Momigliano, A., Op. Cit., p. 328.

(٥) هارفى بورتر : المرجع السابق، ص ٣٥٢.

(6)Momigliano, A., Op. Cit., p. 329.

(٧) كارين ارمسترونج: المرجع السابق، ص ٢٢٣.

(8)Momigliano, A., Op. Cit., p. 332.

توسيع لنطاق مملكته فى ظل التبعية الرومانية؛ حيث أعاد إليه أغسطس بعد أنتحار أنطونيو بقليل حكم غزة وغادار وهيموس وأريحا وانتيدون ويافا وبرج ستراتون[1]، فضلا عن ذلك فقد منحه أيضا عام ٢٣ ق .م مقاطعات البثنية والطراخونية والحوارنية، هذا بجانب أقاليم أخرى منحها له عام ٢٠ ق .م كانت تشمل ألائه وبنياس والجولانية[2].

ثانيا : سياسة هيرودس الخارجية تجاه مصر البطلمية :

غلب الطابع العدائى على طبيعة العلاقات السياسية التى جمعت هيرودس بالبطالمة؛ بالرغم من أن السمة الودية هى التى سادت عامة من قبل على طبيعة تلك العلاقات، ولعل ذلك يبدو واضحا خلال عصر بطليموس الثانى "فيلادلفوس" (٢٨٣ - ٢٤٥ ق.م) حينما أعتق العبيد العبرانيين الذين أسرهم والده[*]، وأمر بتوطين بعضهم فى معسكرات خاصة كجنود مرتزقة بالجيش البطلمى[3]، فى الوقت ذاته قام أيضا هذا الملك البطلمى برد حوالى مائة وعشرين ألفا من هؤلاء الأسرى إلى فلسطين[4]، فضلا عن ذلك فقد توج علاقاته تلك بترجمته للتوراة إلى

---

(١) اندريه لومير : تاريخ الشعب العبرى، تعريب : أنطوان إ.الهاشم، عويدات، بيروت، ١٩٩٩، ص ٩٦.

(٢) أ.هـ. م. جونز : مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية، ترجمة : إحسان عباس، دار الشروق، عمان، ١٩٨٧، ص ٨٤-٨٥.

(*) قام بطليموس الأول "سوتير" (٣٢٣ - ٢٨٣ ق .م) بأسر أعداد ضخمة من اليهود حينما غزا فلسطين ونقلهم إلى مصر:
Bickerman, E.J., "The Historical Foundations of postbiblical Judaism", JHCR, vol. I, 1949. p.99.

(٣)عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٢٠٥.

(٤)مصطفى إبراهيم الدميرى : اليهود وتاريخهم وكتبهم المقدسة، دار الصفا، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٩٨.

الإغريقية(١)، والتى قد عرفت بالترجمة السبعينية(٢)، وذلك طبقا لما أشـــار به يوسفيوس فى كتاباته(*).

رغم تلك العلاقات الودية التى ربطت يهود أورشليم والبطالمـة، إلا إنه مع إعتلاء كليوباترة السابعة وهيرودس لعرشى الإسكندرية وأورشـليم، اتخذت تلك العلاقات اتجاها مغايرا، ولاسيما من جانب تلك الملكة البطلمية التى كانت تظهر خالص العداء لهيرودس، وهذا لم يكن يعنى فـــى حقيقــة الأمر بغضها لليهود بصفة عامة، بدليل إنها لم تحاول اضطهادهم بمصـــو، بل سمحت لهم بإقامة الهياكل اليهودية بالإسكندرية؛ ولعل ما يؤكد ذلك أنــه ورد بأن أحد أثرياء اليهود ويدعـــــى "ألوبــوس" (Alypus) قــد شــيد

---

(1)Bickerman, E.J., Op. Cit. ,p. 100.

(٢)محمد عزة دروزة : المرجع السابق، ص ٢٩٥.

(*) يذكر يوسفيوس عن ترجمة التوارة إلى الإغريقية أن بطليموس الثانى قد اتصل فى هذا الشأن بالكاهن الأكبر لأورشليم المدعو "العازر"، وطلب منـــه بـــأن يعث إليه من أجل هذا الأمر بسبعين شيخا من حكماء اليهود وفقهائـــــهم، وقد نسخوا تلك الترجمة فى سبعين نسخة (تاريخ يوسفيـــــوس اليـــهودى، ص٥٠-٥١) وجدير بالذكر بأن هناك رأى ينكر ذلك، ويعتبره ضربا مـــن الخيال، ويزعم أصحابه بأن تلك الترجمة قد تمت قبل عصر بطليموس الثـــانى على يد يهود الإسكندرية أنفسهم (مصطفى كمال عبد العليم : اليـــهود فى مصر فى عصرى البطالمة والرومان، القـــاهرة، ١٩٦٨، ص ١٢٣) غـــير أن الباحث لا يستبعد إنتساب ذلك العمل إلى هذا الملك البطلمى، لاسيما وأنـــه قد اشتهر بحبه البالغ للعلم والمعرفة.

بالإسكندرية هيكلا باسم كليوباترة وبطليموس للاله الأكبر السميع[1] ولـــذا فيعتقد الباحث فى هذا الصدد بأن تفسير ذلـــك الموقــف لكليوبـــاترة مـــن هيرودس بعينه يكمن من خلفه بواعث سياسية هامة تنحصر فـــى أمريـــن أساسيين، هما:

١- **أحلام كليوباترة التوسعية بمملكة هيرودس** : كانت تـــأمل ملكـــة مصر بمجرد زواجها من أنطونيو بخريف ٣٧ ق . م، أن تكون هديـــة ذلك الزواج إعادة بناء إمبراطورية البطالمة، التى كانت حلما طالمـــا راودها منذ علاقاتها السالفة بقيصر، ولذا فلا عجب إنه عندما أنجبـــت لأنطونيو ولدا عام ٣٦ ق.م (أثناء وجوده فى ميديا) قد دعتـــه باســـم "بطليموس فيلادلفوس"، وذلك تخليدا لذكرى إمبراطورية هذا الملـك[2]، لا سيما وقد أصبح آنذاك الشطر الشرقى من ممتلكات روما الضخمـــة عبر الفترة الممتدة تقريبا بيـــن عـــامى ٤٠ –٣٠ ق .م تحـــت إدارة وسيطرة أنطونيو[3]، الذى سعى لإشباع طموح محبوبته بمنحها مناطق شاسعة بسورية[*]، إلا أنها بجانب ذلك كانت تطمع فى ضـــم مملكـــة

---

(١) إبراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة، الجزء الثانى، الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١٥٤.

(٢) المرجع السابق : الجزء الأول، الطبعة الخامسة، الإنجلو المصريـــة، القـــاهرة، ١٩٧٩، ص ٣٤٣.

(3)Starcky, J., Op. Cit., p.93.

(*) شملت المناطق التى منحها انطونيو لكليوباترة إمارة خلقيس وكـــل أقـــاليم سورية الوسطى الممتدة بين هذه الأمارة ومملكة هيرودس، ومنطقتى قيليقيـــا وتراخيا، وأيضا الجانب الأكبر من شواطئ فلسطين وفينقيا :

إبراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة، الجزء الأول، ص ٣٤٣.

هيرودس إلى أملاكها، وقد صور يوسفيوس هذا فى كتاباتـــه قـــائلا : "كانت كليوباترة تعادى هيرودس وتريد هلاكه لأسباب عدة منها إنـــها أرادت أن تظفر بمملكته وتستولى عليها كما إستولت على غيرها مـــن الممالك"[١]، غير أن العلاقة الطيبة التى ربطت أنطونيـــو بـــهيرودس جعلته يضمن على محبوبته بتلك المملكة، وإكتفى منها فقط بإعطائـــها لمنطقة أريحا الغنية بالنخيل والبلسم، على أن يغدو هيرودس بـــالوقت ذاته مستأجرا عليها مقابل مبلغ من المال يقدمه سنويا لهذه الملكة[٢].

٢- **تعاطف كليوباترة مـــع الحسـمونيين** : كـــان إضطـــهاد هـــيرودس للحسمونيين أسلافه فى الحكم من العوامل الهامة التى جعلت كليوباترة تبغض هذا الملك اليهودى، وذلك منطلقا من تلك العلاقـــات الحميمـــة التى جمعت ملكـــة البطالمـــة بـــهؤلاء القـــوم وبخاصـــة إسـكندره الحسمونية[*]، وهذا استنادا عما ورد بكتابات يوسفيوس فيما نصـــه : "كان بين اسكندره وبين ملكة مصر كليوباترة مـــودة أكيـــدة ومحبـــة قديمة..."[٣]، ولذا فلم تقف تلك الملكة مكتوفة الايدى أمام معاناة ذلـــك البيت الحسمونى، وحرمان أهله من المناصب الهامة، لدرجـــة أنـــها أجبرت هيرودس على تعيين أرسطوبولوس ولد إسكندره كاهنا أعظـم، بمجرد أن تقدمت إليها والدته لأجل هذا الغرض[٤]، بل الأكثر من ذلك

(١) تاريخ يوسيفوس اليهودى، ص ١٦٧.

(2)Margolis, M. and Marx, A., Op. Cit., p. 170.

(*) اسكندرة الحسمونية : هي إبنة هيركانوس الثانى الحسمونى، ووالدة "مريـــام" زوجة هيرودس ... وقد أمر هيرودس بقتلها عام ٢٨ ق .م، وذلك بعـــد أن قتل إبنتها مريام عام ٢٩ ق.م : اندريه لومير : المرجع السابق، ص ٩٥-٩٦.

(٣) تاريخ يوسفيوس اليهودى، ص ١٦٠.

(4) Goldin, J., "The period of The Talmud (135 B.C.E- 1035 C.E)."JHCR, vol. I, 1949, P. 127.

فإن كليوباترة قد دعت تلك المرأة وابنها للانتقال إلى مصر، والإقامة بها بعيدا عن تلك الاضطهادات، وربما كان هدف كليوباترة من هذا الصنيع كما يعتقد الباحث هو استخدامهما كورقة سياسية تحت يديها تهدد بها عرش هيرودس، لاسيما وأن أرسطوبولوس قد حقق آنذاك بأورشليم شعبية جارفة منذ اعتلائه لمنصب الكاهن الأعظم، ومما لا شك فيه بأن هيرودس كان يدرك تماما مدى خطورة هروبهما، وبخاصة إلى تلك الملكة البطلمية المتحفزة للقضاء عليه، ومن أجل هذا فقد لجأت إسكندره إلى تدبير حيلة محكمة تحقق مرامها، ولكن حدث وأن إكتشف هيرودس هذا المخطط وأحبط محاولة الهرب، وذلك طبقا لما يرويه يوسفيوس في كتاباته(*).

وعامة فقد تفاعل العاملان السابقان معا في زيادة بغض وكراهية كليوباترة لهيرودس، وأخذت تسعى جاهدة لإضعافه والتخلص منه، فدفعته إلى خوض أتون حرب شعواء ضد ملك الأنباط لأجباره على دفع

(*) يذكر يوسفيوس عن تفاصيل مخطط هروب إسكندره إلى مصر ومدى دور كليوباترة فى ذلك قائلا : "أن إسكندره قد كتبت إلى كليوباترة تشتكى من هيرودس وتسألها بأن تساعدها عليه، فأشارت عليها كليوباترة بأن تحتال فى الخروج من أورشليم، وبعثت إليها سفنا وخدما يكونون معها، فأقام الخدم مع السفن فى يافا، وأرسلوا إلى اسكندره يعلموها بذلك، فحاولت اسكندره الخروج من المدينة فلم يتم لها ذلك، فصنعت تابوتين مثل توابيت الموتى، ودخلت فى أحدهما وجعلت ابنها أرسطوبولوس يدخل فى الأخر، وأمرت بأن يحمل التابوتان إلى خارج المدينة مثلما تحمل الموتى ... على إنها إذا صارت خارج المدينة مضت إلى يافا وركبت البحر إلى مصر، ولكن حدث وأن مضى خادم من خدمها كان هيرودس قد أمره بأن يرفع إليه أخبارها، فإنبأ هيرودس بهذا الأمر، فلما أخرج التابوتان من المدينة، بعث هيرودس بمن يقبض عليهما وردهما إليه، فأمر بفتحهما، فلما نظر إلى إسكندره وابنها غضب عليهما وعاتبهما على ما فعلاه ثم صفح لهما ..":
تاريخ يوسفيوس اليهودى، ص ١٦٣-١٦٤.

الجزية[*] إليها[1]، المقدرة بنحو مائتى تالنت سنوياً[2]، وكان يمكنها بأن تطلب من أنطونيو الذى يلبى جميع رغباتها بأن يبعث بقوة عسكرية تجبر الملك النبطى على تقديم تلك الجزية، ولكن رغبتها كما يذكر "جواد على" فى هلاك هيرودس أو على الأقل إضعافه قد دفعها إلى هذا الأمر[3]، ولعل ما يؤكد ذلك ويدعمه أنها تآمرت عليه مع الأنباط أنفسهم أثناء قتاله معهم من أجلها؛ فبعثت إليه كما يذكر يوسفيوس بكتيبة عسكرية بقيادة "انثياون" لتشد فى الظاهر من عضده خلال الحرب، ولكنها فى الباطن كان هدفها هو الانقلاب عليه أثناء القتال ومعاونة الأنباط كما هو مدبر للبطش به، وبالفعل نجح قائد تلك الكتيبة فى تنفيذ هذه المؤامرة، التى أدت إلى هزيمة جيش هيرودس الذى فر لأورشليم بعد مقتل الألاف من رجاله[4]، وبالرغم من موقف كليوباترة هذا، إلا أن هيرودس لم يكن بأمكانه التخلى عن إلتزامه فى إجبار الأنباط على دفع الجزية إليها؛ فظل فى قتال متواصل معهم، حتى جعلهم يضطرون إلى الموافقة على تقديم الجزية إلى

(*) وهى جزية فرضها الرومان على الأنباط لتأييدهم للبراثيين فى إستيلائهم على فلسطين، وحدث أنه حينما قام انطونيو بمنح كليوباترة إجزاء من سورية وفنيقيا وبلاد الأنباط، أصبحت بذلك كليوباترة صاحبة الحق فى جزية الرومان من الأنباط، غير أن النبط إمتنعوا عن دفع تلك الجزية لملكة مصر : محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٨٨، ص ٤١٤ – ٤١٥.

(1) Momigliano, A., Op. Cit., p. 325.

(2) Peters, F.E., “The Nabateans in The Hawran”, JAOS, vol. 97, N.3, July – September 1977, p.268.

(٣) جواد على : المرجع السابق، ص ٣٦.

(٤) تاريخ يوسفيوس اليهودى، ص ١٦٧ – ١٦٨.

كليوباترة[1]، التى ظلت مع هذا على موقفها العدائى من هيرودس، لأنها كانت تدرك بذكائها أنه لم يقم بما فعله إلا بدافع الخوف على عرشه وليس إخلاصا لها، والجدير بالذكر فى هذا الصدد أن هيرودس كان يدرك ذلك، غير أن دهائه البالغ قد جعله يظهر لها خلاف ما يكنه قلبه، ويستدل على هذا أنه حينما مرت على أورشليم فى طريق عودتها من أعالى الفرات إلى الإسكندرية عند توديعها لأنطونيو فى حملته[*] ضد البراثيين، إستقبلها هيرودس فى عاصمته بالترحاب الشديد، وقدم إليها حقها كاملاً فى استئجاره لغابات البلسم، وأغدق عليها بالكثير من الهدايا الثمينة، بل ورافقها أيضا حتى وصلت إلى الحدود المصرية[٢].

ولكن بعد أن هلكت كليوباترة أظهر هذا اليهودى مشاعره العدائية تجاهها، ويبدو ذلك واضحا من خلال ما أورده يوسفيوس فيما قاله هيرودس لأغسطس حينما إلتقى به لتهنئته بانتصاره فى أكتيوم، ما نصه : "ولعمرى أن انطونيو لم يهلك إلا بسوء رأيه فى قبوله من كليوباترة الساحرة، ولقد أشرت عليه أن يقتلها فلم يقبل"[٣].

---

(1) Crichton, A., Histort of Arabia, vol. I, Edinburgh, 1833, p. 146.

(*) قام انطونيو عام ٣٦ ق . م بحملة فاشلة على براثيا، وهى تعتبر من أكبر النكبات التى حلت به، بالرغم من أنه كان يقود جيشا عرما يعد أكبر جيش تولى قيادته قائد رومانى، غير أن إهماله البالغ أتاح للبراثيين الفرصة فى الانقضاض على قوات المؤخرة التى تحمى المؤنة ومعدات الحصار، فأدى ذلك لفناء تلك القوات وإحراق وتدمير المعدات والمؤونة، مما إضطر أنطونيو فى نهاية الأمر إلى الانسحاب الذى كلفه أيضا خسائر فادحة :

إبراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة، الجزء الأول، ص ٣٤٥.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) تاريخ يوسفيوس اليهودى، ص ١٧٢.

ثالثاً : سياسة هيرودس الخارجية تجاه دولة الأنباط :

واصل هيرودس السياسة العدائية لإسلافه المكابيين تجاه جيرانـــه عرب الأنباط، رغم أن هذا الملك من أم نبطية تدعى "كيبروس"[1]، تنتـمى كما يشير "جواد على" إلى الأسرة الحاكمة بالبتراء[*]، هذا وفى الوقت ذاته أيضا كان أنتيباتر والده تجمعه علاقات سياسية حميمـــة ووطيـــدة بدولـــة الأنباط، وبخاصة مع ملكها الحارث الثالث (٨٧-٦٢ ق.م)، وقد تجلى ذلك فى مظاهر كثيرة وعديدة؛ لعل من أبرزها فى هذا المضمار تلبية هذا الملك النبطى لمطلب أنتيباتر بالتدخل عسكريا لنصرة حليفه هيركـــانوس علـــى أرسطوبولس أخيه المغتصب لعرش أورشليم[2].

وهذا وقد تنوعت طبيعة وأشكال تلك السياسة العدائية مـــن فـترة لأخرى خلال عهد هيرودس، ولعل ذلك يرجع إلى أنه قد عاصر عـــهوداً نبطية متعددة، كان لكل منها ظروفه وسماته المتميزة، وقد أستهل ذلك مـــع عهد مالك الأول النبطى[**]، وتحديداً بعام ٤٠ ق .م المتوافق مـــع الغـــزو

---

(١) جون ولكنسون : "القدس تحت حكم روما وبيزنطة ٦٣ ق .م – ٦٣٧م"، القدس فى التاريخ، منشورات الجامعة الأردنية ٢/٩٣، عمـــان، ١٩٩٢، ص ٩٨.

(*) يستند جواد على فى إعتقاده هذا على ما ذكره يوسفيوس خلال حديثه عـــن الصراع المرير الذى نشب بين أنتيباتر وهيركانوس ضد أرسطوبولس، على أن أنتيباتر قد بعث أثناء ذلك الصراع بأبنائه إلى جدهم ملك العرب (الأنباط) :
جواد على : المرجع السابق، ص ٣٥.

(٢) السيد محمد السعيد : المرجع السابق، ص ٢٣.

(**) اختلفت الآراء حول فترة حكم مالك الأول؛ فهناك من يرى بأنه حكـم فى الفترة (٤٧-٣٠ق .م)، وهناك رأى ثان يذكر بأنه بالفترة (٥٠-٣٠ ق .م)، ورأى ثالث بالفترة (٥٠ – ٢٨ ق.م)، بينما يوجد أيضا رأى آخر يعتقـــد أصحابه بأنه حكم بعد الحارث الثالث مباشرة، وعلى هذا فإن فترة حكمـــه تمتد فيما بين عامى (٦٢-٣٠ ق م) :
محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم، ص ٥١٤.

البراثى لأورشليم، وذلك حينما فر هيرودس لاجئا بحياته إلى بلاد الأنباط، على أمل أن يجد هناك الملاذ الآمن، لاسيما وأن علاقاته كانت آنذاك حسنة معهم، فضلا عن هذا فكانوا مدينين له حينئذ بأموال اقترضوها فيما مضى من والده[1]، غير أن مالك الأول خذله ورفض إوائه؛ فبمجرد أن وطئت قدماه لبلاده بعث إليه بمن يأمره بسرعة مغادرته للأراضى النبطية[2].

ويستبعد الباحث فى هذا المضمار ما يذكره "بيك" من أن السبب وراء رفض مالك لإيواء هيرودس كان خوفا من بطش البراثيين[3]، وذلك استنادا إلى تلك المناعة الحصينة[*]، التى منحتها الطبيعة لبلاد الأنباط، والتى من شأنها أن جعلتهم بمنأى عن الأطماع البراثيه، ولذا فمن المعتقد بأن الدافع الأساسى وراء هذا الموقف لمالك يكمن فى بغضه البالغ لهيرودس بسبب موالاته الشديدة للرومان الذين يعدوا آنذاك أخطر أعداء الأنباط على الإطلاق، ولعل ما يدعم هذا الرأى يكمن فيما شهدته الساحة بعد تتويج هيرودس ملكا من قبل الرومان، بأنه قد حدث وأن تآمر مالك مع

---

(1) Starcky , J. Op. Cit, p. 93.

(2) Josephus, Jewish Antiquities, translated by Marcus, R., vol.V11,BK. X1V, 3rd.ed. , London, 1961, p.645.

(٣) فر دريك ج. بيك: تاريخ شرقي الأردن وقبائلها، تعريب : بهاء الدين طوقان، الدار العربية، عمان، الأردن، ١٩٣٤، ص ٤٧.

(*) وهبت الطبيعة بلاد الأنباط مناعة تضاريسية متميزة، ولاسيما عاصمتهم مدينة البتراء، التي اتسمت بكونها مدينة محصنة تحصينا طبيعيا بمرتفعات صخرية تحيط بها من الشرق والغرب والجنوب، بشكل يؤدى إلى إستحالة إقتحامها عبر تلك الجهات، أما مدخلها الوحيد بناحية الشمال فيصعب كذلك إقتحامها منه، وذلك بحكم طبيعته الجغرافية المتميزة؛ فهو عبارة عن مضيق يتلوى بين صفين من التلال الصخرية القائمة على جانبيه بارتفاع لا يقل عن مائة متر، ويستمر فى الضيق حتى يصل إلى عرض لا يزيد عن خمسة أمتار عند مدخل المدينة :
توفيق برو : تاريخ العرب القديم، دمشق، ١٩٨٨، ص ٩٩.

هيركانوس الحسموني ملك اليهود السابق لإنتزاع العرش من أيدى هيرودس، وذلك على أن يهرب هيركانوس سراً من أورشليم إلى البتراء، ليقدم إليه الأنباط يد المؤازرة، غير أن الأقدار كما يذكر يوسفيوس قد مكنت هيرودس من إكتشاف تلك المؤامرة قبل إستفحالها،وذلك بعد أن اطلعه عليها الرسول الذى كان يحمل المكاتبات بين هيركانوس ومالك، وتم خلال محاكمة سريعة الإطاحة برأس هيركانوس[١]، محبطاً هيرودس بذلك مخططاً ربما لو نجح لتكررت على أثره الأحداث الجسيمة التى عاشتها أورشليم عام ٦٥ ق .م، عندما كانت محاصرة بالجيوش النبطية، وذلك حينما هرب أيضا هيركانوس من قبل إلى بلاط الحارث الثالث ملك الأنباط لنصرته على أخيه أرسطوبوس[٢].

وعامة فلم يمض وقت طويل حتى اشتعل ذلك الموقف السياسى المتأزم بين هيرودس ومالك إلى مصادمات عسكرية دامية بمجرد تلك الشرارة الصغيرة التى أحدثتها كليوباترة حينما كلفت هيرودس بالقيام بجمع الجزية من الأنباط، وقد أُستهلت هذه المصادمات بمعركة "اللد" التى تمكن فيها ذلك الملك اليهودى من التغلب على الأنباط[٣]، الذين أخذوا يعدوا العدة للثأر منه، وإلتقوا به فى "قنا" بالبقاع، وكاد أيضا أن ينتصر عليهم[٤]، ولكنه حدث مع نهاية تلك المعركة أن تحول النصر إلى جانب النبط، وأضطر

---

(١) تاريخ يوسفيوس اليهودى، ص ١٥٧ – ١٥٨.
(٢) السيد محمد السعيد : المرجع السابق، ص ٢٣.
(٣) محمد بيومى مهران : "دراسة حول العرب وعلاقتهم الدولية فى العصور القديمة"، مجلة كلية اللغة العربية، العدد السادس الرياض، ١٩٨٦، ص ٣٨٥.
(٤) جواد على : المرجع السابق، ص ٣٦.

هيرودس إلى إلفرار لأورشليم مع ماتبقى من فلول جيشه الذى قتل وأسر منه الكثير[1]، وذلك على أثر خيانة حليفه القائد البطلمى انثياون[*].

وهناك بأورشليم أخذ هيرودس يستعد للخوض فى جولة أخرى فاصلة ضد مالك الأول، ولكن حدث أثناء ذلك كما يذكر يوسفيوس أن أصاب تلك المدينة زلزال مدمر، هلك على أثره الكثير من اليهود وإضطربت معه أحوال البلاد، مما دفع هيرودس إلى محاولة مسالمة الأنباط، وأرسل إليهم يفاوضهم فى الصلح، إلا أن مالك الأول رفض المطلب اليهودى وأمر بقتل رسل هيرودس[2]، لأنه كان يدرك النوايا العدوانية لليهود وعدم احترامهم للعهود والمواثيق، وأن هذا السلام المزعوم لهيرودس ما هو إلا محاولة مكشوفة لكسب المزيد من الوقت من أجل تكثيف إستعداده للحرب، وبالفعل أخذ ذلك اليهودى الادومى يعد ويكرس جبهته الداخلية للقتال، وجمع زعماء قومه وحرضهم على ذلك، ونجح فى تكوين جيش كبير[3]، عبر به نهر الأردن، وإلتقى بالأنباط عند عمان " Philadelphia" فى معركة طاحنة، أنزل بهم خلالها هزيمة ساحقة، بعد أن كبدهم خسائر فادحة وصلت إلى نحو خمسة آلاف قتيل، وأسر ما يقرب من أربعة آلاف آخرين كانوا قد تحصنوا أثناء القتال فى معسكر منيع، ولكن أجبرهم العطش على الاستسلام، ويبدو أن مالك الأول نفسه لم يعمر طويلا بعد هذه الهزيمة القاسية، أو ربما مات أثناء تلك

---

(١)محمد بيومى مهران : "دراسة حول العرب وعلاقاهم الدولية فى العصور القديمة"، ص ٣٨٥.

(*) راجع سياسة هيرودس الخارجية تجاه مصر البطلمية، ص٢٠.

(٢) تاريخ يوسفيوس اليهودى، ص ١٦٨، ١٦٩.

(٣) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ، ص ٣٤٧.

المعركة[١]، ليخلفه من بعده الملك "عبادة الثالث" (٣٠-٩ ق .م) [٢]، الذى لم يكن فى قوة وبأس سلفه، فترك مقاليد الأمور فى أيدى وزيره "سيلايوس"[*]، المعروف ببالغ دهائه السياسى، والذى وصفه يوسيفوس فى كتاباته بالمقدرة والكفاية[٣]، حتى أن طموحه قد دفعه للسعى جديا ليحل محل عبادة فى عرش المملكة، ففكر من أجل ذلك فى الزواج من "سالومى" شقيقة هيرودس حتى يكتسب صفة الإمتزاج بالدماء الملكية[٤]، غير أن هيرودس أحبط مساعيه برفضه لهذا الزواج، بعد أن أبى سيلايوس إعتناق اليهودية[٥]، ومما لا شك فيه بأن موقف هيرودس هذا قد أضاف قدراً من الفتور فى علاقاته السياسية المتأججة مع مملكة الأنباط ورجلها الحقيقى سيلايوس.

ومع هذا فلم يتطور ذلك العداء السياسى بين هذين الطرفين فى تلك الآونة إلى مصادمات عسكرية دامية كالتى نشبت من قبل، وربما ذلك راجع إلى أن المستجدات الدولية التى حدثت فى أثر معركة اكتيوم كانت

---

(١) جواد على : المرجع السابق ، ص ٣٧.

(٢) محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم، ص ٥١٦.

(*) وردت تسمية سيلايوس بالمراجع العربية بأسم صالح، ولعل ذلك يرجع كما يذكر "عبد العزيز صالح "، إلى أن أحد معاونى الملك عبادة كان بالفعل يعرف بأسم صالح : عبد العزيز صالح : تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة، الانجلو المصرية، القاهرة ، ١٩٨٨، ص ١٦٤.

(٣) حلمى محروس إسماعيل : الشرق العربى القديم وحضارته،مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧، ص ٢٦١.

(٤) لطفى عبد الوهاب يحيى : "الوضع السياسى فى شبه الجزيرة العربية حتى القرن الأول الميلادى"، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثانى، جامعة الملك سعود، ١٩٨٤، ص ٩٨.

(5) Momigliano, A., Op. Cit., p.331.

لا تسمح لتلك المصادمات بدون إذن من أغسطس، الذى إنفرد بعد قهر أنطونيو وكليوباترة على عرش الإمبراطورية الرومانية صاحبة السيادة والهيمنة على مختلف أنحاء سورية وفلسطين، ولذا فقد سعى كل من هيرودس وسيلايوس إلى تقديم فروض الطاعة والولاء لذلك العاهل الرومانى،ومحاولة الإجتهاد فى نيل الحظوة لديه، لكى يتمكن كلاهما من الإطاحة بالأخر، وقد تجلى ذلك من خلال موقف هذين الخصمين من تلك الحملة الرومانية التى أمر أغسطس بإرسالها عام ٢٤ق.م بقيادة والى مصر الرومانى "ايليوس جاليوس"(١)، على رأس عشرة آلاف جندى رومانى للإستيلاء على بلاد اليمن(٢)، بحجة إخضاع قبائلها لإرادة روما أو التوصل إلى إتفاق معها(٣)، مع أن هدفها الحقيقى يكمن فى السيطرة على المنتجات اليمنية العطرية التى كانت تجد رواجا بالغا بأسواق العالم القديم(٤)، وقد سارع كل من سيلايوس وهيرودس بالمساهمة فى تلك الحملة، سعيا وراء كسب ود أغسطس وتأييده، فشارك هيرودس بنحو خمسمائة من جنوده ضمن قواتها(٥)، بينما ساهم سيلايوس فى الجانب الأخر بما يفوق بكثير

---

(1) O' Leary, D. L., Arabia before Muhammad, London, 1927, p.75.

(2) Hitti, P. , History of the Arabs, 6 th. ed., London, 1958, p. 46.

(٣) مصطفى كمال عبد العليم؛"تجارة الجزيرة العربية مع مصر فى المواد العطرية فى العصرين اليونانى والرومانى"، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثانى، جامعة الرياض، ١٩٨٤، ص ٢٠٧.

(4) Bowersock, G.W., "A Report on Arabia Provincia", JRS, vol. LX1,1971, p. 227.

(5) Kiernan ,R.H., Op. Cit., p.25.

تلك المشاركات اليهودية؛ حيث يذكر استرابو وهو أحد شهود العيان[*]، بإنه زود قوات تلك الحملة بنحو ألف مقاتل نبطى[١]، فضلا عن إنه قد جعل بلاده بمثابة قاعدة عسكرية رومانية لتجمع وتحرك القوات الغازية[٢]، بل الأكثر هذا فقد خرج بنفسه كدليل ومرشد لهم إلى بلاد اليمن[٣]، وبالرغم من كل ذلك إلا أن أغسطس تحيز بشكل واضح إلى جانب هيرودس في صراعه ضد سيلايوس، وربما يرجع هذا إلى أن ثقته قد تزعزت كثيرا بذلك الوزير النبطى لما أشيع عنه آنذاك (طبقا لما ذكره استرابو) من أنه قد تعمد عن قصد تضليل الرومان بالمسير بهم فى طرق دائرية وعرة[٤]، هلك عبرها معظم قوات تلك الحملة بين الجوع والمرض، حتى اضطرت فى النهاية للعودة إلى مصر بكارثة ألقى بتبعتها على عاتق سيلايوس[٥].

ويعتقد الباحث بأن هيرودس كيهودى قد إستغل تلك الإشاعة، وعمل على زيادة ترويجها من أجل مآربه السياسية، المتمثلة فى إثارة حفيظة الرومان على خصمه اللدود سيلايوس، ومحو أيضا أية إستحسان رومانى ناشئ من جراء مساهمات الأنباط الكثيرة فى حملة ايليوس جاليوس، ولعل ما قد يدعم ذلك الاعتقاد أن تلك الإشاعة قد تزامنت مع

(*) صاحب استرايو حملة أيليوس جاليوس وسجل أخبارها فى كتاباته :
Starcky, J., Op. Cit., p. 94.

(1) Strabo, Op. Cit., p.357.

(2) Lewis , B, The Arabs in History, 5 th .ed., London, 1968, p. 26.

(3) Kiernan, R.H., Op. Cit, p.26.

(4) Strabo, op. Cit, p. 355.

(٥) خير الله طلفاح : تاريخ العرب فى العصر الجاهلى، الجزء الرابع والعشرون، بغداد، ١٩٨٢، ص ٥١.

النزاع السياسى الكبير الذى نشب آنذاك بين هيرودس وسيلايوس، والذى أوشك أن يعصف بهما إلى حلبة المصادمات العسكرية الدامية، وذلك على أثر مشكلتين هامتين،هما :

١-**مشكلة الطراخونية** : بدأت تلك المشكلة بقيام أغسطس عام ٢٣ ق.م بنزع مقاطعات الطراخونية والبثنية والحورانية من أيدى حاكمها "زنودورس"(*)، وإسناد إدارتها إلى هيرودس(١)، وذلك بغرض القضاء على عمليات اللصوصية والسلب والنهب التى كان يمارسها بصفة خاصة أهالى مقاطعة الطراخونية(٢)، وقد أثار هذا الأمر سيلايوس الذى كان يطمع فى إدارة تلك المقاطعات نظير مساهماته العديدة فى حملة ايليوس جاليوس، ولذا فأخذ يتحين الفرصة للنيل من هيرودس، وسعى من أجل هذا جاهداً لمحاولة إفشاله أمام أغسطس فى إدارة تلك المقاطعات؛ فأجتهد فى تشجيع ومؤازرة الطراخونيين فى عملياتهم اللصوصية(٣)، رغم كراهيته الشديدة لهؤلاء القوم لما كان يعانيه منهم،

(*) زنودورس : هو أحد أفراد البيت الايطورى، وقد ظهر على مسرح الأحداث بزمن كليوباترة، وذلك حينما أوعزت إلى انطونيو بقتل الأمير الايطورى "ليسانياس بن بطليموس بن معن" عام ٣٥ ق .م، حتى تستولى على ممتلكاته، وقامت بتأجيرها إلى زنودورس، ولما سقط انطونيو ثبته أغسطس فى ممتلكاته، غير أن زنودورس هذا قد أخذ يشجع رعاياه نظير عمولة يتقاضاها منهم على أعمال السلب والنهب وقطع الطرق، وحينما علم أغسطس بذلك أمر بنزع منه مقاطعات الطراخونية والبثنية والحوارنية واسناد إدارتها إلى هيرودس، و لم يكتف أغسطس بذلك بل أمر بمنح هيرودس معظم ممتلكات زنودورس حينما مات عام ٢٠ ق .م :
أ.هـ.م جونز : المرجع السابق، ص ٨٤-٨٥.

(1) Momigliano,A., Op. Cit. p. 326.
(2) Starcky, J., Op. Cit., p. 95.
(3) Anderson, J. G .C., " The Eastern Frontier under Augustus", CAH, Vol. X, 1934, p. 254.

حتى إنه كان يدفع من قبل مبلغ من المال كإتاوة إلى حاكمهم زنودورس نظير ابعاده لغاراتهم اللصوصية على القوافل التجارية النبطية المارة بالقرب من مقاطعتهم[١]، ومع كل هذا فطبقا لما أشار به يوسيفوس فقد نجح هيرودس فى إجبار هؤلاء الطراخونيين على هجر أعمال السلب والنهب وأن يعتمدوا فى حياتهم على زراعة أرضهم[٢]، وظلوا على هذا الحال حتى عام ١٢ ق.م، وذلك حينما سافر هيرودس إلى روما[٣]، من أجل مقابلة أغسطس للرد على الشكوى المقدمة ضده من ولده اسكندر[*]، حيث أشيع آنذاك بين أهالى الطراخونية بإن هيرودس قد لقى حتفه، فسارعوا بالعودة إلى حياة السلب والنهب[٤]، غير أن قواد جيش هيرودس وقفوا لهم بالمرصاد، فأضطر زعماء الطراخونيين إلى الفرار لبلاد الأنباط، فوجد سيلايوس من ذلك ضالته المنشودة للأنتقام من هيرودس، فبالغ فى الترحيب بالطراخونيين الفارين، وشيد لهم فى بلاده قلاع حصينة بمنطقة Raipta[٥]، لتكون بمثابة بؤرة لممارسة عمليات السلب والنهب،وزادت أعدادهم وقويت شوكتهم، وأخذت البلدان اليهودية تعانى الكثير من جراء تلك العمليات،ولذا فقد سارع هيرودس عقب عودته من روما مباشرة بالتصدى لهؤلاء اللصوص، فزحف

---

(1) Peters, F.E., Op. Cit. , p. 269.
(2) Josephus, Jewish Antiquities, translated By Marcus, R., vol. VIII, BK. XVI, London, 1963, p. 319
(3) Starcky, J., Op. Cit., p.95.
(*) إسكندر هو أحد إبنى مريام الحسمونية زوجة هيرودس التى قتلها عام ٢٩ ق.م، وقد قتل إسكندر هذا واخيه أرسطوبولس عام ٧ ق.م بأمر من ابيهما هيرودس، وذلك على اثر احدى الدسائس التى قام بها أخ لهما من أبيهما يدعى أنتيباتر، لكى ينفرد بولاية العهد والحكم بعد والده، غير أن هيرودس قد أمر بقتله هو الأخر عام ٤ ق.م، وذلك قبل خمسة أيام فقط من موت هيرودس : أندريه لومير : المرجع السابق، ص ٩٨.
(4)Josephus,. Jewish Antiquities, BK. XV1, p.319.
(5) Starcky, J., Op. Cit., p. 95.

بقواته نحو الطراخونية ونكل بأسر هؤلاء الطراخونيين الفارين، مما أدى هذا إلى تكثيف نشاطهم الإنتقامى ضد القرى والبلدان اليهودية[١]، فاضطر هيرودس أمام ذلك إلى أن يطلب من عبادة وسيلايوس العمل على سرعة إجلاء الطراخونيين الفارين لبلادهم وعدم حمايتهم، إلا إنهما رفضا هذا المطلب[٢].

٢- **مشكلة مماطلة الأنباط فى سداد ديونهم لهيرودس** : تزامنت تلك المشكلة مع أحداث لصوص الطراخونية؛ إذ فى الوقت الذى يأوى سيلايوس فيه هؤلاء اللصوص، كان الملك عبادة الثالث مقترضاً عن طريق سيلايوس من هيرودس مبلغ من المال يقدر بنحو ٦٠ تالنت[٣]، وقد أخذا يماطلان فى السداد ومحاولة التملص من هذا الدين[٤].

وقد أدت هاتان المشكلتان إلى وصول النزاع السياسى لذروته بين هيرودس وسيلايوس، بشكل باءت معه بالفشل كافة محاولات الأصلاح بينهما، وقد أورد يوسفيوس فى هذا الصدد محاولة حاكمى الرومان بسورية " Saturninus" و "Volumnius" فى التوسط للصلح بين الطرفين المتصارعين، وإزالة عوامل الخلاف بينهما، وتم بالفعل عقد إتفاق تعهد خلاله الأنباط برد أموال هيرودس فى مدة لا تزيد عن الثلاثين يوماً، كذلك أيضاً أقر الجانب النبطى الموافقة على طرد جميع الطراخونيين من بلادهم خلال تلك المهلة، ولكن حدث بعد إنتهاء هذه

---

(1) Josephus , ,. Jewish Antiquities, BK. XV1, p. 321.
(٢) حلمى محروس إسماعيل : المرجع السابق، ص ٢٦٢.
(3) Josephus, ,. Jewish Antiquities, BK. XV1., p.321.
(4) Momigliano, A., Op. Cit., p.334.

المدة المحددة أن سافر سيلايوس إلى روما دون تنفيـــذ إلتزاماتـــه تجـــاه هيرودس الذى اطلع الحاكمين الرومانيين عن ذلك، وأخبرهما بأنه سـيلجأ إلى الحل العسكرى لحسم هذا الأمر، وبالفعل إجتاز بجيوشه الأراضـــى النبطية وهاجم معقل الطراخونيين فى Raipta التى خربـــها تمامـــاً[1]، فهبت قوة من الأنباط بقيادة رجل يدعى "نقيبوس"[*]، لمســـاعدة هـؤلاء الطراخونيين، وإشتبك مع هيرودس وجنوده فى معركة انتـــهت بمقتـــل نقيبوس هذا ونحو عشرين من اتباعه[2]، ثم عاد بعد ذلك هيرودس إلـــى بلاده مزهواً بنصره، وتوجه نحو الطراخونية التى أقام بـــها مســـتوطنة عسكرية مكونة من ثلاثة آلاف ادومى لإقرار الأمن والاســـتقرار بـــهذه المنطقة[3].

وأثناء تلك الأحداث الجسام كان سيلايوس حينئذ موجوداً برومـــا، وحينما وصلته أنباؤها سعى جاهداً لدى أغسطس لكسب تأييده، والحط عنده من مكانة هيرودس، مستغلاً فى هذا قيام ذلك اليـــهودى بتلـــك العمليـــات العسكرية دون إستئذان مسبق من الإمبراطور[4]، وبالفعل قد نجح بدهائـــه البالغ فى كسب عطف أغسطس وتأييده؛ حيث تقدم إليه (وذلك طبقا لرواية

(1) Josephus, ,. Jewish Antiquities, BK. XV1., p.323.

(*) يعتقد جواد على بأن اسم نقيبوس ربما كان فى الأصل "نقيب" أو "نســـيب" أو "نجيب" أو ما شابه ذلك، ثم حرف لليونانية فصار بهذا الشكل، أو ربمـــا تعنى كلمة نقيبوس هذه درجة من درجات الجيش وليست اسما علماً للقـــائد النبطى : جواد على : المرجع السابق، ص ٤٠.

(٢) حلمى محروس إسماعيل : المرجع السابق، ص ٢٦٢.

(3) Peters, F.E., Op. Cit. , P. 270.

(4) Starcky, J. Op. Cit. , p.95.

يوسفيوس) باكيا ومرتديا زيا أسود، وواصفا له مرارة الدمار البالغ الــذى حل ببلاده من جراء هجوم هيرودس وجيوشه، ومدى عجز عبــادة أثنــاء غيابه على رد هذا التدمير اليهودى الذى نكل بالكثير من قومــه وبقــواده العسكريين ومن بينهم صهره نقيبوس، وكما يذكر يوسيفوس بأنه قد أشــتد غضب أغسطس من هيرودس، وكتب إليه برسالة شديدة اللهجة منكرا عليه من خلالها مهاجمته لبلاد الأنباط، فى الوقت نفسه قــد كتــب ســيلايوس برسالة لقومه يذكر فيها باعتزاز بالغ لتأييد أغســطس ومؤازرتــه لــهم، ومخبرا إياهم بان العاهل الرومانى قد أمر ملــك اليــهود بــأن لا يكــرر مهاجمته لبقية معاقل الطراخونيين الموجودة بأرض الانباط، وأن يتنــازل كذلك عن الديون النبطية، فضلا عن هذا فقد منحهم أغسطس أيضــا كمــا يذكر سيلايوس أرض واسعة للمرعى كانوا يستأجرونها مـــن هــيرودس نظير مبلغ من المال(١).

وحينما وصلت إلى أهالى الطراخونيــة أنبــاء تــأييد أغســطس لسيلايوس على حساب هيرودس، سارعوا إلى مهاجمـــة وقتــل اليــهود الأدوميين الذين أقطنهم هيرودس بالطراخونية، كذلك أيضا تدفق الكثير من الطراخونيين إلى بلاد الأنباط لإتخاذها كقواعد لممارسة عملياتهم الإنتقامية ضد ممتلكات هيرودس، بشكل يفوق ما كانت عليه من قبل(٢).

ولكن حدث وأن توقف ذلك الصراع اليهودى النبطى برمته فجــأة، على أثر ما أستجد من تطورات سياسية هامة وخطيرة بــالبلاط النبطــى، أستهلت بموت عبادة الثالث عام ٩ ق .م، حينما كان وزيـــره ســيلايوس

---

(1) Josephus, ,. Jewish Antiquities, BK. XV1, p. 325 –327.
(2) Ibid , P. 327.

بروما[١]، وخلفه على العرش ولده الحارث الرابع الملقب "بالمحب لشعبه"[٢]، والذى قد تعرض لغضب جارف من أغسطس، وكاد أن يعزله[٣]، لوشاية ضده من سيلايوس، بحجة أنه قد اعتلى الحكم دون إذن الأمبراطور، غير أن أغسطس قد عفا عنه بعد ذلك وأقر ملكه، الذى استمر خلال الفترة الممتدة بين عامى ٩ ق.م حتى ٤٠ م[٤]، وقد أصر هذا الملك الجديد منذ الوهلة الأولى على ضرورة التخلص من وزيره سيلايوس، لأنه كان يدرك نواياه التطلعية للعرش، وأنه هو الذى أثار ضده أغسطس[٥]، فانتهز فرصة قيام سيلايوس باغتياله لمسئول رومانى[٦]، يدعى "Fabatus" كان خادما لأغسطس[٧]، وبعث برسالة عاجلة للإمبراطور يخبره بذلك الصنيع الذى إرتكبه وزيره، وأطلعه أيضا فى تلك الرسالة على عدة جرائم أخرى تورط فيها ذلك الوزير، كان فى مقدمتها مسئوليته عن تدبيره لمؤامرة سم والده الملك السابق عبادة الثالث[٨]، وقتله كذلك لعدد من أشراف الأنباط من بينهم المدعو "Sohemus" [*]،أحد رجال تلك

---

(1) Starcky, J., Op. Cit. , p. 95
(2) Bowersock, G.W. , Op. Cit. , p.223.
(3) Anderson, J. G. C., Op. Cit. , p. 254.
(4) Starcky, J., Op. Cit., p.97.
(5) Ibid, p. 95.
(٦) لطفى عبد الوهاب يحى : العرب فى العصور القديمة، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٩، ص ٤٣١.
(٧) جواد على : المرجع السابق، ص ٤٠.
(8) Starcky,J., op. Cit., p. 95.
(*) قد يكون "سخيما" أو "سحيما" أو "سهيما"، وكلها أسماء أعلام معروفة فى الجاهلية : جواد على : المرجع السابق، ص ٤٠.

الدولة البارزين[١]، فما كان من أغسطس الذى قد إشتد غضبه من سيلايوس إلا أن أمر بسرعة إحضاره إلى روما، وهناك فى عام ٥ ق .م تم الإطاحة برأسه[٢]، ويعتقد الباحث فى هذا المضمار بأن هيرودس قد شارك الحارث الرابع بنصيب وافر فى أثارة أغسطس ضد سيلايوس، وقد إستند الباحث فى ذلك إلى عداوة هيرودس البالغة لسيلايوس، إضافة إلى هذا فإن أسلوب التآمر قد إشتهر به ذاك اليهودى فى تصفيته لخصومه السياسيين؛ وذلك مثلما حدث فى إغتيالات انتيجونوس وهيركانوس وأرسطوبولوس، فضلا عن هذا فإن ظهور تلك العلاقة الحميمة التى جمعته آنذاك فجأة بالحارث الرابع، تدعم بلا شك من إحتمال إشتراكه مع ذلك الملك النبطى فى مؤامرة إعدام أغسطس لسيلايوس.

هذا ولم تستغرق علاقات هيرودس الودية بالبتراء فيما بعد سيلايوس زمنا طويلا، إذ سرعان ما انتهت مع موت ذلك اليهودى عام ٤ق.م، ولعل من أبرز الإحداث السياسية التى شهدتها هذه الفترة القصيرة التى لم تتجاوز العام الواحد، هو انتهاء أزمة الطواخونية بين هيرودس وعرب الأنباط، إذ لم يحاول الحارث الرابع حينذاك مناوأة الوجود اليهودى بتلك المنطقة التى رضخت بذلك لسيادة وسيطرة هيرودس، وربما يدعم هذا أنه قد عثر هناك على كتابة قبرية ترجع إلى عام (٥-٤ق.م) لم يشر فيها صاحبها الذى يدعى "قصى بن تعجلة" (كما هو المعتاد) إلى اسم ملك الأنباط الحارث الرابع، الذى دونت بايامه تلك الكتابة وشيد خلالها القبر،

---

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(2) Crichton, A., Op. Cit., p. 147.
وأيضا : Starcky, J., Op. Cit., p. 97.

مما يدل ذلك على أن هذه المنطقة كانت حينئذ غير خاضعة لنفوذ ذلك الملك النبطى[١].

رابعا : سياسة هيرودس الخارجية تجاه الدولة البراثية :

سيطر الجمود السياسى على طبيعة العلاقات اليهودية البراثية مع إعتلاء هيرودس للعرش بأورشليم عام ٣٧ ق.م بعد مقتل انتيجونوس، وحتى موته عام ٤ ق.م؛ حيث لم تشهد تلك العلاقات عبر هذا الفترة توترات سياسية أو مصادمات عسكرية بين الطرفين، هذا وفى الوقت ذاته أيضا لم يحدث بينهما اتصالات أخرى دبلوماسية غير قدر ضئيل يكاد ينحصر فى عدم ممانعة البراثيين لهجرة بعض اليهود البابليين إلى هيرودس، الذى استخدمهم فى غرس مستوطنة عسكرية يهودية بمقاطعة البثنية[٢].

ولعل السبب فى إحجام هيرودس عن القيام باتصالات سياسية نشطة مع الدولة البراثية التى تعد آنذاك إحدى القوى العظمى بالساحة الدولية، يعود إلى أمرين هامين؛ يكمن أولهما فى طبيعة الوضع السياسى لمنصب هيرودس كحاكم يهودى تابع لروما، والذى لم يتح له خيار سياسى سوى إتباع التيار الرومانى المعادى للبراثيين، أما الأمر الثانى فيتعلق بالتأييد البراثى البالغ للمكابيين، وتمكينهم بالفعل من إستعادة مقاليد الحكم بأورشليم، وقد تجلى هذا قبيل تنصيب هيرودس ملكا على أورشليم، وذلك حينما اجتازوا بجيوشهم عام ٤٠ ق.م الإراضى السورية[٣]، ومنها توجهوا

---

(١) جواد على : المرجع السابق، ص ٤٥.
(٢) أ.هـ.م. جونز : المرجع السابق، ص ١٠٥.
(٣) سمير لطفى : المرجع السابق، ص ٣٣.

طبقا لما أشار به يوسفيوس نحو أورشليم بدعوة مكابية(*) من إنتيجونوس إبن أرسطوبولوس الذى نصبوه هناك ملكا(**) تابعا لهم[١]، وأجتهد آنذاك هؤلاء البراثيين فى مطاردة هيرودس وأسرته، فقبضوا على شقيقه فسائيل الذى مات منتحرا بسجونهم[٢]، وكادوا أيضا أن يقبضوا على هيرودس نفسه لولا هروبه إلى روما[٣]، فكل ذلك من شأنه أن جعل هيرودس بعد أن مكنه الرومان عام ٣٧ ق .م من إعتلائه لعرش أورشليم، أن لا يقيم علاقات أو إتصالات سياسية مع البراثيين، الذين إعتبرهم من القوى المعادية لحكمه.

(*) يذكر يوسفيوس بإن إنتيجونوس قد أرسل إلى قائد البراثيين مبلغا كبيرا من المال ونحو ثمانمائة جارية، نظير دخولهم أورشليم وتنصيبه ملكا عليها، وأن يخلصوه من هيرودس وأخيه فسائيل : تاريخ يوسفيوس اليهودي، ص ١٤٦.

(**) يوجد بجانب كتابات يوسفيوس دليل أثرى يؤكد إعتلاء إنتيجونوس لعرش أورشليم ولمنصب الكاهن الأعظم؛ وهو عبارة عن نقد أصدره انتيجونوس، جاء على أحد وجهيه بالعبرية عبارة : "انتيجونوس الكاهن الأعظم"، بينما نقش على الوجه الأخر باليونانية عبارة :"الملك انتيجونوس" : Bevan, E.R., Op. Cit., p. 405.

(1)Goldin, J., Op. Cit. p. 125.

(2)Johnson, P. Op., Cit. , p. 110.

(3)Starcky, J, Op. Cit. p.93.

النتائــــــــج

تشير تلك الدراسة عن وجود قدر بالغ من التوافق والتشـــابه فـــى الملامح الرئيسية لسياسة هيرودس الخارجية مع ما ينتهجه اليوم الساســـة الإسرائيليون على الساحة الدولية من أجل مطامعهم الممتدة من النيل إلـــى الفرات، ولعل ذلك التوافق يبدو واضحاً بالنقاط التالية :

- حرص العقلية السياسية اليهودية بشكل دائم على إستثمار الصراعـــات الدولية فى إحراز مكاسب سياسية بفلسطين؛ فكمـــا اســتطاع اليـــهود بالأمس القريب الإستفادة من التأزمات الدولية الناشبة خـــلال الحـــرب العالمية الأولى فى الحصول على وعد بلفور عام ١٩١٧بشأن إقامـــة وطن قومى لهم بفلسطين، إستطاع كذلك هيرودس بالمـــاضى البعيـــد الإستفادة من الصراع الرومانى البراثى، وأيضا الصراع الدائـــر بيـــن زعماء روما ذاتهم فى تتويجه ملكاً لأورشليم، وتوسيع نطاق دولته.

- إستخدام زعماء اليهود سياسة إقامـــة المســتوطنات اليهوديـــة علـــى الأراضى العربية كوسيلة لطمس هويتها؛ وتلـــك اســـتراتيجية قديمـــة مارسها هيرودس بالماضى حينما شيد مثل هذه المستوطنات بمنطقتـــى الطراخونية والبثينة، واليوم تواصل بقوة حكومـــات الصهاينـــة هـــذه السياسة على الأراضى الفلسطينية والجولان السورية، على أمل تـــهويد تلك المناطق العربية.

- إعتماد الساسة اليهود بصفة عامة على مساندة أعتى القوى العظمى فى تحقيق أهدافهم السياسية؛ وقد حقق فى ذلك هيرودس نجاحا بالغا فـــى إستقطاب التأييد الرومانى من أجل مصالحه وأهدافه السياســـية، هـــذا ويواصل الصهاينة فى وقتنا الحاضر تلك السياسة القديمة بمقدرة فائقـــة تبدو واضحة فى المساندة القوية مـــن الولايـــات المتحـــدة الأمريكيـــة للمطامع الإسرائيلية بالمنطقة العربية.

- تأصل عداء اليهود للعرب : تؤكد كثرة الحروب الشرسة التى خاضـــها هيرودس ضد جيرانه عرب الانباط، أن ما يرتكبه زعماء الصهاينـــــة اليوم كشارون وغيره من جرائم وحشية ضد الفلسطينيين، لا يتعـــدى عن كونه مجرد حلقة لعداء يهودى دفين يضرب بجذوره فى أعمـــاق التاريخ لكل ما هو عربى.

****

Abbreviations

BA = The Biblical Archaeologist, The American Schools of Oriental Research, New Haven.

CAH = The Cambridge Ancient History, (Edited by cook, S.A. and others), Cambridge university press.

JAOS= Journal of the American Oriental Society, New Haven.

JHCR = The Jews,Their History, Culture and Religion, (Edited by Finkelstein, L.), New York.

JRS = The Journal of Roman Studies, The Society for The promotion of Roman Studies, London.

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المراجع العربية :

١- **إبراهيم نصحى** : تاريخ مصر فى عصر البطالمة، الجزء الأول، الطبعة الخامسة، الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٩م.

٢- ———— : تاريخ مصر فى عصر البطالمة، الجزء الثانى، الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٥.

٣- **إبراهيم يوسف أحمد الشتلة** : "حملات الرومان على الجزيرة العربية"، الدارة، العدد الثالث، السنة التاسعة، الرياض، يناير ١٩٨٤م.

٤- **السيد محمد السعيد** : "علاقات الأنباط السياسية مع الكيان اليهودى بأورشليم منذ بداية عهد الحارث الثانى حتى نهاية عهد الحارث الثالث"، مجلة بحوث كلية الإداب، العدد ٤١، جامعة المنوفية، إبريل ٢٠٠٠.

٥- **توفيق برو** : تاريخ العرب القديم، دمشق، ١٩٨٨

٦- **جواد على** : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الثالث، النهضة، بغداد، ١٩٨٠م.

٧- **حسين الشيخ** : الرومان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٣م.

٨- **حلمى محروس إسماعيل** : الشرق العربى القديم وحضارته، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧م.

٩- **خير الله طلفاح** : تاريخ العرب فى العصر الجاهلى، الجزء الرابع والعشرون، بغداد، ١٩٨٢م.

١٤- **سمير لطفى** : عصر المكابيين، كنيسة القديس الأنبا أنطونيوس، شبرا.

١٥- **صابر طعيمة** : التاريخ اليهودى العام، الجزء الأول، دار الجبل، بيروت، ١٩٧٥

١٦- **عبد الحميد زايد** : القدس الخالدة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٤م.

١٧- **عبد العزيز صالح** : تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة، الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٨م.

١٨- **عبد الوهاب المسيرى** : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩م.
١٩- **عمر الصالح البرغوثى وخليل طوطح** : تاريخ فلسطين، القدس، ١٩٢٣م.
٢٠- **لطفى عبد الوهاب يحيى** : العرب فى العصور القديمة، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٩م.
٢١- ــــــــــــ : "الوضع السياسى فى شبه الجزيرة العربية حتى القرن الأول الميلادى "، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثانى، جامعة الملك سعود، ١٩٨٤م.
٢٢- **محمد بيومى مهران** : "دراسة حول العرب وعلاقاتهم الدولية فى العصور القديمة"، مجلة كلية اللغة العربية، العدد السادس، الرياض، ١٩٨٦م.
٢٣- ــــــــــــ : تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨م.
٢٤- ــــــــــــ : بنو إسرائيل، الجزء الثانى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩م.
٢٥- **محمد عزة دروزة** : تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٦٩م.
٢٦- **مصطفى إبراهيم الدميرى**: اليهود وتاريخهم وكتبهم المقدسة، دار الصفا، القاهرة، ١٩٩٥م.
٢٧- **مصطفى كمال عبد العليم** : اليهود فى مصر فى عصرى البطالمة والرومان، القاهرة، ١٩٦٨م.
٢٨- ــــــــــــ : "تجارة الجزيرة العربية مع مصر فى المواد العطرية فى العصرين اليونانى والرومانى"، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثانى، جامعة الرياض، ١٩٨٤م.
٢٩- **نورة عبد الله العلى النعيم** : الوضع الاقتصادى فى الجزيرة العربية من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادى، دار الشواف، الرياض، ١٩٩٢م.

ثانيا : المترجمة :

١- **أ. هـ .م. جونـز** : مدن بلاد الشام حين كـانت ولايـة رومانيـة، ترجمة : إحسان عبـاس، دار الشـروق، عمـان، ١٩٨٧م.

٢- **اندريه لومير** : تاريخ الشعب العبرى، تعريب : انطوان إ. الهاشـم، عويدات، بيروت، ١٩٩٩م.

٣- **تاريخ يوسفيوس اليهودى** : بيروت، ١٨٧٢م.

٤- **جون ولكنسون** : "القدس تحت حكـم رومـا وبيزنطـة ٦٣ ق. م - ٦٣٧م"، القدس فى التـاريخ، منشـورات الجامعـة الأردنية، ٩٣/٢، عمان، ١٩٩٢م.

٥- **ف . هايـد** : تاريخ التجارة فى الشرق الإدنـى فـى العصـور الوسطى، ترجمة : أحمد محمد رضا وعـز الديـن فودة، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتـاب، ١٩٨٥م.

٦- **فردريك ج. بيك** : تاريخ شرقى الأردن وقبائلها، تعريب : بهاء الدين طوقان، الدار العربية، عمان، الأردن، ١٩٣٤م.

٧- **كارين ارمسترونج** : القدس مدينة واحدة، ترجمـة : فاطمـة نصـر ومحمد عنانى، دار الكتب، القاهرة، ١٩٨٨م.

٨- **هارفى بورتر** : موسوعة مختصر التاريخ القديم، القاهرة، ١٩٩١م.

ثالثا : الأجنبيـة :

1-Anderson, J.G.C., "The Eastern Frontier under Augustus", CAH, vol. X, 1934.

2- Bevan, E.R., "The Jews", CAH, vol. 1X, 1932.

3-Bickerman, E.J., "The Historical Foundations of Postbiblical Judaism", JHCR, vol. I, 1949.

4- Bowersock, G.W., "A Report on Arabia Provincia", JRS, vol. LX1, 1971.

5-Crichton, A., History of Arabia, vol. 1, Edinburgh, 1833.

6-Goldin , J., "The period of The Talmud (135 B.C.E-1035 C.E)" , JHCR, vol.1 , 1949.
7-Hitti, p., History of The Arabs, 6 th. ed., London, 1958.
8- Johnson, P., A History of The Jews , New York, 1987.
9- Josephus, Jewish Antiquities, translated by Marcus, R., vol .V11, Bk. X1V, 3 rd. ed., London, 1961.
10- ———, Jewish Antiquities, translated by Marcus, R., vol.V111, Bk. XV1, London, 1963.
11-Kiernan, R.H., The Unveiling of Arabia, London, 1937.
12- Lewis, B., The Arabs in History, 5 th. ed., London, 1968.
13-Margolis, M. and Marx, A., A History of the Jewish people, 3 rd. ed., Philadelphia, 1934.
14- Momigliano, A., "Herod of Judaea", CAH, vol. X, 1934.
15- O'Leary, D.L., Arabia before Muhammad, London, 1927.
16-Peters, F.E., "The Nabateans in the Hawran", JAOS, vol.97,N.3, July- September 1977.
17-Starcky, J., "The Nabataeans : a Historical Sketch" , BA, vol. XV111, N.4, December 1955.
18-Strabo, The Geography of Strabo, translated by Jones, H.L., vol. V11, BK, xv1, 4th.ed., London, 1966.

****

مجلة بحوث كلية الآداب
جامعة المنوفية



التحليل المكانى لتوزيع خدمة إطفاء الحريق فى شرقى الاسكندرية

" باستخدام نظم المعلومات الجغرافية "

إعـــداد

د / محمد إبراهيم محمد شرف

الأستاذ المساعد بقسم الجغرافيا

كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

محكمة تصدرها كلية آداب المنوفية

العدد الثامن والأربعون

يناير ٢٠٠٢